جندي في بيته !

قصة لأرنست همنغواي
ترجمة هوراس طرابيشي

ذهب كريبس الى الحرب بعد تخرجه من معهد الميتوديين بكنساس . وتظهره صورة فوتوغرافية بين زملائه الاكليريكيين ، وهم يحملون جميعا القبة العالية . وكان قد انضم الى رماة البحرية عام ١٩١٧ ، ولم يعد الى الولايات المتحدة الا عندما عادت الفرقة الثانية من « الرين » في عام ١٩١٩ .

وتظهره صورة اخرى وهو على « الرين » بصحبة شابتين المانيتين واحد العرفاء . ويبدو فيها كريبس والعريف كبيرين جدا بالنسبة لبزتيهما اما الالمانيتان ففير جميلتين . ولا يظهر « الرين » على الصورة .

في الوقت الذي عاد فيه كريبس الى مسقط رأسه باوكلاهوما ، كانت الحماسة التي يستقبل بها الابطال قد اصبحت مجرد ذكرى . لقد عاد متأخرا جدا . اما زملاؤه الذين سبقوا الى الخدمة فقد استقبلوا جميعا بحرارة عند عودتهم . واجتاحت البلد موجة عارمة من الهستيريا . ولم يتأخر رد الفعل . فقد بدا انهم يجدون كريبس سخيفا الى حد ما اذ يعود متأخرا جدا ، بعد سنوات من انتهاء الحرب .

وفي البدء رفض كريبس ـ الذي كان في غابات « بللو » وفي « سواسون » و « شمبانيا » و « سان ميبيل » و « ارغون » ـ ان يتحدث عن الحرب . ولكنه ، بعد فترة ، احس بحاجة للتحدث عنها ، الا ان ما من انسان اراد الاصغاء اليه . لقد استمع الناس الى كثير من قصص الفظاعة حتى ما عادت الاحداث الحقيقية تثيرهم .وتبين لكريبس ان عليه ان يكذب كي يستمعوا اليه . وعندما فعل ذلك مرتين ، نفر هو ايضا من الحرب وقصص الحرب . وتملكه اشمئزاز ، بسبب كذبه من كل ما جرى له في الحرب . فكل الظروف التي كان يمكن ان تبعث فيه احساسا من الهدوء والاحترام ـ تلك الظروف البعيدة الان التي قام فيها بشكل بسيط وطبيعي بالعمل الوحيد الممكن لانسان في الوقت الذي لم يكن من شيء يجبره على ذلك ـ قد فقدت معناها وقيمتها ، بل فقدت وجودها نفسه .

وبالفعل كانت اكاذيبه بسيطة ، فنسب لنفسه امورا رأها اخرون او قاموا بها او سمعوها ، وأورد بعض الاحداث المريبة والمألوفة عن الجنود كاشياء اكيدة . بل ولم تثر اكاذيبه اي احساس في قاعة البلياردو . فاصدقاؤه ومعارفه الذين استمعوا الى اقاصيص مفصلة عن الالمان الذين وجدوا مقيدين بالسلاسل الى رشاشاتهم في غابات « الارغون » والذين لايستطيعون ان يتصوروا ـ وقد اعمتهم عنصريتهم ـ المقاتلين الالمان الا وهم مقيدون ، لم يتأثروا اطلاقا بحكاياته .

واشماز كريبس من تجربته في الكذب والمبالغة ، وكان من حين الى حين ، عندما يلتقي برجل اخر حارب حقا فيثرثران بضع دقائق في غرفة الملابس ، اثناء احدى السهرات مثلا ، يتخذ غريزيا موقف الجندي القديم بين الجنود الاخرين ، موقف الانسان الذي امضى حياته وهو خائف ، خائف الى حد مهيل . وهكذا فقد كل شيء .

كان ذلك في اواخر الصيف. كان ينام الى ساعة متأخرة ، ثم يستيقظ ليذهب الى المدينة ويبحث عن كتاب في المكتبة ، ثم يتناول غداءه في البيت ثم يقرأ على درجات المنزل الى ان يكتفي ، ثم يذهب الى المدينة من جديد ليمضي ساعات النهار الاكثر قيظا في قاعة البلياردو القاتمة الرطبة لقد كان يحب لعب البلياردو كثيرا .

وعند المساء كان يتعلم عزف الكلارينيت ، ثم يتسكع في المدينة ، ثم يقرأ وينام . وكان دائما ، عند اختيه الصغيرتين ، بطلا . ولو شاء لقدمت له والدته الفطور في فراشه . كانت دائما تدخل غرفته عندما يكون مضطجعا وتطلب اليه ان يروي قصصا عن الحرب ، ولكن انتباهها كان يتشتت دائما . ولم يكن والده يبالي بكل ذلك .

وقبل ان يذهب كريبس الى الحرب ، لم يكن مسموحا له بقيادة سيارة العائلة . كان والده يعمل في وكالة عقارية ، ويرغب دائما ان تكون السيارة تحت يده عند اضطراره لنقل العملاء الى الريف ليريهم ملكا او مزرعة . وكانت السيارة تقف دائما امام بناية « البنك الوطني الاول » حيث كان لوالده مكتب في الطابق الثاني . والان وقد انتهت الحرب فالسيارة ماتزال نفسها .

لم يتبدل شيء في المدينة باستثناء الفتيات الصغيرات اللواتي كبرن . لكنهن كن يعشن في عالم معقد جدا من تحالفات قد تحددت ومن تنافسات مستغلقة ، بحيث ان كريبس لم يستشعر في نفسه القوة والشجاعة ليدخل فيه . الا انه كان يحب ان ينظر اليهن . كان هناك كثير من الفتيات الجميلات . وكان لجميعهن تقريبا شعر قصير . وقبل ذهابه ، كانت الفتيات الصغيرات فقط او الفتيات المتساهلات يتزين هكذا . وكن جميعهن يرتدين صداري وقمصانا بياقة مستديرة. وكان ذلك يكاد يكون زيا موحدا . وكان يحب ، وهو على الدرجات ، ان ينظر اليهن وهن يسرن على الجانب الاخر من الشارع . كان يحب رؤيتهن يمشين تحت ظل الاشجار . وكان يحب اعناقهن المدورة من فوق صداريهن . كان يحب جواربهن الحريرية واحذيتهن بكعوبها المسطحة . وكان يحب شعرهن القصير ومشيتهن .

وكانت لا تجتذبه ابدا عندما يكون في المدينة . انهن ماكن ليعجبنه عندما يشاهدهن في قاعة الشاي اليوناني . في الحقيقة ، انه ماكان ليشتهيهن . لقد كن ، في داخلهن ، معقدات جدا . كان الامر يتعلق بشيء اخر . كان يشتهي ،بشكل غامض ، صديقة ما ، ولكنه ماكان ليبذل جهده ليحصل عليها . لقد كان يود لو كانت له احداهن ، ولكنه لم يكن راغبا في ان يمضي كثيرا من الوقت للفوز بها . لم يكن راغبا في اقلاق نفسه بالمكانة والدبلوماسية . لم يكن ، باي ثمن ، راغبا في المغازلة . لم يكن راغبا في ان يكذب من جديد، فما كان ذلك ليستحق العناء .

كان يرفض ايضا النتائج . كان يرفضها نهائيا . كان راغبا في ان يعيش دون نتائج . ولم يكن اصلا يشعر بحاجة حقيقية الى صديقة . لقد علمه الجيش ذلك . كان الظن شائعا بأنه لايمكن الاستغناء عن فتاة . كان جميع الناس تقريبا يعتقدون ذلك . لكن ذلك باطل . ما من احد بحاجة الى المرأة .

وكان هذا اسخف ما في الامر . فمن جهة كان احد الشبان يشيع ان الفتيات لايعنين شيئا بالنسبة اليه وانه لايفكر فيهن ابدا وانهن لايثرن فيه اية حرارة . ثم يتباهى اخر بانه لايمكنه الاستغناء عنهن ، مؤكدا انه بحاجة اليهن دائما وانه بحاجة الى فتاة في فراشه كل الليالي .

كل ذلك لم يكن الا اكاذيب . اكاذيب في الحالة الاولى وفي الثانية . ليست هناك حاجة الى الفتيات اذا لم يفكر بهن . لقد تعلم ذلك في الجيش ، ثم ، عاجلا ام آجلا ، ينتهي الامر بالحصول على احداهن . ان المرء عندما يكون ناضجا حقا بالنسبة للمرأة ، يعثر دائما على احداهن . عاجلا .م آجلا يتم ذلك دون حاجة الى التفكير فيه . لقد تعلم كل ذلك في الجيش .

والان لقد كان يرغب كثيرا لو كانت له فتاة بشرط ان تأتي اليه دون كلام . لكن الامر كان هنا، في بيته ، معقدا جدا . كان مدركا ان التجربة الماضية لاتتجدد ، وان من العبث الاعتماد اليها . وهذا ماكانت تمتاز به الفرنسيات والالمانيات . فكل هذه الاحاديث غير مجدية معهن . لم يكن الكلام ممكنا ولم تكن هناك حاجة اليه . كان كل شيء بسيطا وكان التفاهم جيدا . وفكر اولا بفرنسا ثم بألمانيا . وبالنتيجة كان يفضل المانيا . لم يكن راغبا في مغادرة المانيا . لم يكن راغبا في العودة الى بيته . الا ان الامر قد انتهى به الى العودة . وها هو الان هنا من جديد ، جالسا على الدرجات .

كان يحب الفتيات اللواتي يجتزن الرصيف المقابل ولكن العالم الذي كن يعشن فيه لم يكن عالمه . كان يفضلهن من نواحي كثيرة على الفرنسيات والالمانيات . كان يتمنى لو كانت له احداهن . ولكن ذلك لايستحق عناء المحاولة . لقد كن بمجموعهن جميلات ، وكان يحبهن هكذا . كان ذلك رائعا . ولكنه ما كان ليندفع في المباهاة . لم تكن هناك واحدة يرغب فيها الى ذلك الحد . الا انه كان يجد لذة في النظر اليهن جميعا . كلا. ان ذلك لايستحق العناء. ليس في الوقت الذي تصبح فيه الحياة محتملة من جديد .

كان جالسا على الدرجات يقرأ كتابا عن الحرب . كان مؤلفا تاريخيا يجد فيه من جديد قصة المعارك التي اشترك فيها . ولم يستهوه من قبل كتاب الى هذه الدرجة . وتمنى على كل حال لو وجد فيه خرائط اكثر . كان يقلب صفحات كتابه ، وهو سعيد بقراءة قصص مفيدة حقا وموضحة بخرائط مفصلة . والان انه يدرك كيف كانت الحرب فعليا . لقد كان جنديا طيبا . وهنا كان كل الخلاف .

وفي صباح يوم ، بعدشهرمن عودته تقريبا ، دخلت والدته الى غرفته وجلست على السرير وهي تلفف مئزرها . وقالت :

ـ هارولد ! لقد تحدثت مع والدك البارحة مساء . انه لايطلب اكثر من ان تأخذ السيارة للخروج مساء .

ـ ايه ؟ قالها كريبس وهو لم يستيقظ جيدا بعد . أخذ السيارة ؟.. آه . نعم ؟

ـ نعم . ان اباك يعتقد منذ بعض الوقت انك تستطيع ان تأخذ السيارة للخروج مساء ، عندما يحلو لك ذلك .. ولكننا لم نتكلم في هذا الامر الا البارحة مساء .

قال كريبس :

ـ انني اراهن بانك انت التي ازعجته للحصول على ذلك .

ـ ابدا . ان اباك هو الذي عرض القضية .

ـ حقا ؟ لكنني اراهن بانك انت التي ازعجته .

وجلس كريبس في سريره .

وسألته والدته :

ـ أتريد النزول للفطور ، هارولد ؟

فأجاب كريبس :

ـ عندما انتهي من ارتداء ثيابي .

وذهبت والدته . وبينما كان يغتسل ويحلق ويلبس للنزول الى قاعة الطعام لتناول فطوره ، كان يسمع طقطقة شيء يقلى ، صادرة من المطبخ. وعندما جلس الى المائدة حملت اليه اخته البريد . وقالت :

ـ حسنا ! هاري ! ايها المرموط العجوز ! لماذا استيقظت ؟

وتطلع كريبس اليها . كان يحبها كثيرا . كانت المأثورة عنده .

ـ هل قرأت الصحيفة ؟

وناولته « نجمة كنساس سيتي » فنزع عنها لفافتها وفتح الصفحة الرياضية ثم طوى الصحيفة واسندها الى ابريق الماء مثبتا اياها بصحفته بشكل يستطيع فيه القراءة وهو يأكل .

وظهرت والدته امام باب المطبخ ، وقالت :

ـ هارولد ! هارولد ! ارجوك لا تدعك الصحيفة . ان والدك لايستطيع قراءتها اذا كانت مدعوكة .

فقال كريبس :

ـ انني لاادعكها .

وجلست اخته الى المائدة وتطلعت اليه وهو يقرأ .

ـ سنلعب البيسبول في ساحة المدرسة بعد ظهر اليوم .

وانا التي ستقذف بالكرة .

فقال كريبس :

ـ رائع . وهل تشعرين انك كفؤ لها ؟

ـ انني اقذف افضل من عدة صبيان مجتمعين . انني اقول لهم كل ما علمتنيه . ان الفتيات الاخريات لايساوين شيئا كبيرا .

ـ آه . حسنا . قال كريبس .

ـ انني اقول لهم انك فتاي . ألست فتاي ، هاري ؟

ـ وكيف ؟

ـ تعتقد انه لايمكن ان يكون الاخ حبيبا لمجرد انه اخ ؟

ـ لا ادري .

ـ لا . انك تدري . قل لي هاري : الا يمكنك ان تكون فتاي لو كنت اكبر سنا ولو كنت تريد حقا ؟

ـ بالتأكيد . انك من الان صديقتي .

ـ أحقا انا صديقتك ؟

ـ بدون شك .

ـ اتحبني ؟

ـ هه ....

ـ هل ستحبني دائما ؟

ـ بالتأكيد .

ـ هل تأتي لمشاهدتي وانا العب البيسبول ؟

ـ ربمـــا .

ـ اواه ! هاري ! انـك لاتحبني . لو كنت تحبني لرغبت في المجـيء لمشاهدتي وانـا العب البيسبول .

وخرجت والدة كريبس من المطبخ ، ودخلت الى غرفة الطعام . كانت تحمل صحفة فيها بيضتان بشحم الخنزير ، واخرى فيهـا معجنات . وقـالـــت :

ـ دعينا لحظة ، هيلين . اريد ان اقول كلمة لهارولد .

ووضعت البيضتين امامه وجاءت باناء فيه شراب القيقب للمعجنات ثم جلست بمواجهة كريبس . وقالت :

ـ اريد لو تترك هذه الصحيفة لحظة . هارولد !

وخفض كريبس الصحيفة ثم طواها .

وسالته والدته وهي ترفع نظارتيها :

ـ هل قررت ماتريد ان تعمل ؟

فقـال كريبس :

ـ كـــلا .

ـ الا تعتقد انه قد حان الوقت لذلـك ؟

كانت تقول ذلك بلطف . و كانت تبدو قلقة .

وقـال كريبس :

ـ لـم افكـر في ذلـك بعـد .

فقالت والدتـه :

ـ ان الله يحتفظ بعمل لكل منا على الارض . وليس هناك مكـان للعاطلين في مملكته .

واحس كريبس بانه متضايق وبانه صعب الانقياد ، كما هو ،لامر دائما.

وتابعـت والدتـــه :

ـ انني قلقة جدا من اجلك ، هارولد . وانا اعرف انك قد تعرضت لكثير من التجارب واعرف كم الرجال هم ضعفاء . انني اعرف ان جدك العزيز ـ ابي نفسه ـ قد روى لنا قصصا عن الحرب الاهلية ، وقـد صليت لاجلك . انني اصلي آناء النهار من اجلك ياهارولد .

كان كريبس يتطلع الى شحم الخنزير وهو يتجمد فـي صفحته .

وتابعـت والدتـه :

ـ ان والدك قلق ايضا . انه يعتقد ان لاطموح عندك ، ان لا هـدف محددا لك في الحياة . لقد وجد شارلي سيمونز ، وهو بعمرك ، مركزا محترما جدا ، وسيتزوج قريبا . وقد وجد جميع الشبان وظيفة. انهم يريدون الوصول الى شيء ما . ويمكن من الان التاكد من ان شبانـا كشارتي سيمونز سيصبحون قريبا نافعين للوطن .

ولم ينطق كريبس بحـرف .

وقالت لـه والدتـه :

ـ لانعاند بهذا الشكل ، هارولد . انت تعلم اننا نحبك . وانني لااقول لك حقيقة الامر الا لخيرك فقط . ان اباك لايريد التعدي على حريتك . انه يعتقد انه يجب ان تحصل على الاذن بقيادة السيارة . واذا ماارادت ان تأخذ احدى فتياتنا اللطيفات للنزهة فاننا سنسر لذلك . نريـدك ان تلهو . لكن يجب ان تبدأ العمل . هارولد ! ان ابـاك يترك لـــك الحرية في هذا الموضوع . كل المهن شريفة ، كما يقول . ولكن يجـب ان تبدأ باحداها . لقد طلب الي ان اكلمك هذا الصباح ، وتستطيع الان ان تذهب لمقابلته في مكتبه .

فقال كريبس :

ـ اهذا كـــل شيء ؟

ـ نعم . الا تحب امك ياولدي العزيز ؟

ـ لا .

كانت والدته تتطلع اليه وهي جالسة في الجانب الاخر من المائدة ، والتمعت عيناها واخذت في البكاء .

وقـــال كريبس :

ـ انني لا احـب احـــدا .

لكـن لـماذا اجابها هكذا . انه لم يكن ليستطيع ان يشرح لهـا ، لايستطيـع ان يفهمهـــا .

كانت تلك حماقة من جانبه . لقد نجح فقط في جرحها . واقتـرب منها واخذها من ذراعها . كانت تبكي ، ورأسها بين يديها .

وقـال :

ـ لم اقصد ان اقول ذلك . لقد كنت خارجا عن نفسي . هذا كـل شيء . لم اكن اريدالقول بانني لا احبك .

كانت والدته ماتزال تبكي .

ووضع كريبس ذراعه على كتفها :

ـ الا تستطيعين تصديقي ، قولي مـامـا ؟

وهزت والدته برأسها .

ـ ماما ، ارجوك ، صدقينـي !

ـ نعم ، قالت الام بصوت متقطع . ورفعت عينيها اليه :

انني اصدقك ، هـارولـد .

وقبل كريبس شعرها . وادارت وجهها نحوه . وقالت :

ـ انني امك . لقد حملتك دائما على صدري عندما كنت طفلا صغيرا .

وشعر كريبس بضيق وبنوع من الغثيان .

ـ اعرف ذلك ، ماما . سأحاول ان اكون ابنا طيبا .

وسألته والدتـــه :

ـ هل تريد ان تركع وتصلي معي ، هارولد ؟

وركعا بحذاء مائدة قاعة الطعام وبدأت الام وكريبس بالصلاة .

ـ دورك الان ، هارولد .

فقال كريبس :

ـ لا استطيـع .

ـ حـاول ، هارولـد .

ـ لا استطيـــع .

ـ هل تريد ان اصلي عنـــك ؟

ـ نعم .

فصلت والدته حينئذ عنه ، وقاما . وقبل كريبس امه وخرج مـن المنزل . لقد حاول كثيرا الا يعقد حياته . لكن هذا الفصل لم يثره اطلاقا لقد نملكه فقط شفقة على والدته التي اضطرته الى الكذب . سينطلق الى كنساس سيتي ، وسيجد فيها عملا ، وستسر بذلك . وقد لايتجنب فصلا اخيرا قبل رحيله . لكنه لن يذهب الى مكتب والده . انـــه سيهرب هذه المرة . لقد كان يريد حياة بلا قصص . كان لابد له مـن ذلك ، ولكن كل شيء ، قد انتهى الان على كل حال . وسيذهب لمشاهدة هيلين وهي تلعب البيسبول في ساحة المدرسة .

ترجمة جورج طرابيشي